

الصراع الآشوري - المصري على مدينة نابلس

د. فرست مرعي إسماعيل
جامعة زاخو - العراق

نشأت المملكتان اليهوديتان على أرض كنعان (فلسطين)، وهما تحملان بذور التنافس والتنافر، بل غالباً ما استحكمت العداء فيما بينهما ونشبت الحروب، فمرة تكون اليد العليا للمملكة الشمالية (إسرائيل) ومرة للمملكة الجنوبية (يهودا)، الأمر الذي أضعفها علاوة على الانحلال الداخلي. فإن كلتا المملكتين تعرضتا لضغط الآشوريين وضرباتهم المهلكة، إذ كان الآشوريون في أوج عظمتهم العسكرية في عهد الإمبراطورية الآشورية الأولى.

ومن جانب آخر؛ في ربيع عام 942 ق.م. غزا فرعون مصر (شنق) مملكتي يهوذا وإسرائيل، وفي حين اختار (رحبعام) زعيم المملكة الجنوبية الخضوع للفرعون، انسحب يربعام زعيم المملكة الشمالية إلى شرق الأردن تاركاً عاصمته (شكيم - نابلس) لمصيرها حيث استولى عليها الفرعون المصري، واتخذ من مدينة ترصة قاعدة له، وبعد انسحابه، اتخذها يربعام عاصمة له.

وقد تربع على عرش المملكة الشمالية، إلى أن سقطت بيد الآشوريين ما بين 18 و19 ملكاً. وكان التوسع المصري في فلسطين قد أثار حفيظة الدولة الآشورية، لذا فلا مناص من حدوث حالات من الاحتكاك بين الدولتين الكبيرتين على حساب المملكتين اليهوديتين في فلسطين، وهذا ما حدث فعلاً حيث بدأ الملك الآشوري تجلاثيليزر الثالث (727-747 ق.م) حملته على سوريا وفلسطين ما بين عامي 732-734 ق.م حيث تمكن من إسقاط دمشق، ومن ثم قام بغزو المملكة الشمالية وسيطر على كل أراضي الجليل (شمالي فلسطين) وشرق الأردن، وتم سبي قبائل نفتالي وسكان مدن شرق الأردن إلى بلاد آشور في شمال العراق، ولم يبق من مملكة إسرائيل سوى المنطقة الجبلية المحيطة بالعاصمة السامرة فقط.

وهناك مسألة آشورية نقش عليها حملة الملك تجلاثيليزر الثالث على بلاد آرام (سوريا) وإسرائيل (فلسطين) جاء فيها: "قمت بضم جميع مدن بيت عمري في حملاتي السابقة، ولم أترك سوى مدينة السامرة... وأخذت نفتالي بأسرها وضممتها إلى آشور، وعهدت إلى رجالي أن يكونوا حكاماً عليها، وجميع سكان أرض عمري وممتلكاتهم حملت إلى آشور".

وعندما رفض ملك مملكة إسرائيل (هوشع) دفع الجزية للآشوريين بتحريض من فرعون مصر (سوا)، هاجم مملكته الملك شليمنصر الخامس (722-727 ق.م) خليفة تجلاثيليزر الثالث، فحاصر السامرة زهاء ثلاث سنوات، وأكمل فتحها خلفه سرجون في حدود (721-722 ق.م)، فأسر من رجال المملكة (زهاء 27280) شخصاً، وأجلاهم أسرى إلى بلاد مادي، وتحطمت مملكة إسرائيل، وأحل محل هؤلاء الأسرى المبعدين جماعات من السكان جليلهم من بلاد بابل وغيلام وسورية وبلاد العرب وأسكنهم في بلاد السامرة، فاختلط هؤلاء مع الإسرائيليين، ونشأ عن ذلك ما يعرف في تاريخ اليهود باسم السامريين، حيث اختلطت عبادة هؤلاء الأقوام الوثنيين بعبادة (يهوه).